

ثم يذكر ﷺ للمؤمنين الذين يتعرضون لمثل هذه المواقف أن لديهم إذا رجعوا إلى نفوسهم وقلوبهم ما يعصمهم من التردّي في هذه الحفرة التي يحفرها لهم أعداؤهم، لديهم آيات ﷻ، وفيهم رسوله، آيات ﷻ كتابه الناطق ودلائله الصامته، وحكم تشريعه البينة الواضحة، ومثله الماضية والحاضرة، أما رسوله فقد كان بشخصه في الأولين، وهو بسنته وسيرته وأخلاقه في الآخرين.

وإذا كان شخص الرسول قد غاب عن أعين الآخرين، فهو حاضر في قلوبهم، ماثل في أنفسهم، ولم تنقطع أسوتهم به، ولا متابعتهم له، فهم يذكرونه في الصباح والمساء، ويسمعون النداء باسمه في كل صلاة مفروضة، ويجرون اسمه لعيّ ألسنتهم في كل توحيد وتشهد، فمنزلة وجوده بعد مماته هي منتزلة وجود الكتاب فيهم، كلاهما متواتر يتلقاه جيل من المؤمنين عن جيل. وقد صح في الخبر أن الرسول صلوات ﷻ وسلامه عليه، قال: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما تمسكن بهما: كتاب ﷻ وسنتي) (1) والتمسك بهما هو الاعتصام بـ ﷻ الذي جعله ﷻ وقاية من الضلال والهلاك، وسبيلا إلى النجاة والهدى (ومن يعتصم بـ ﷻ فقد هدى إلى صراط مستقيم).

* * *

ثم جاءت الآية الثانية تشرح لنا سبيل هذا الاعتصام، وفي هذا السبيل أوصت بأمر:

(1) تقوى ﷻ حق تقاته.

(2) الاعتصام بحبل ﷻ.

(3) ذكر نعمة ﷻ في تأليف قلوبهم بعد العداوة.

(4) الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

(5) الحذر من الوقوع فيما وقع فيه السابقون من التفرق والاختلاف بعد مجيء البينات.